والمسارح وأسافلهم فى دُور القضاء والسجون ؟

فقالت : اعترفْ بأنك لم تحسِنْ قلبَ الثوب فظهر لكل عين أنه مقلوب ؛ لكنك تحبنى . . . . وهذا كافٍ أن ينهضَ منه عُذر

قال الأستاذ (ح) : إنه يحبك ، ولكن أتعرفين كيف حبُّه ؟ هذا بابٌ يضع عليه دائماً عِدّةً من الأقفال

قالت : فما أيسرَ أن تجد المرأةُ عدةً من المفاتيح . . .

قال : ولكنه عاشقٌ يُنير العشقُ بين يديه ، فكأنه هو وحبيبته تحت أعين الناس ، ما تطمعُ إلا أن تراه وما يطمعُ إلا أن يراها ، ولا شيء غير ذلك . ثم لا يزال حبُّها عليه ولا يزال هواه إليها ، وليس إلا هذا

قالت : إن هذا لعجيب

قال : والذى هو أعجب أنْ ليس فى حبه شيء نهائى ، فلا هجرٌ ولا وصل ؛ ينساكِ بعد ساعة ولكنك أبداً باقيةٌ بكل جمالك فى نفسه . والصغائرُ التى تُبكى الناسَ وتَتَلذّعُ فى قلوبهم كالنار ليجعلوها كبيرةً فى همِّهم ويطفئوها وينتهوا منها كسائر شهوات الحب — تبكيه هو أيضاً وتعتلجُ فى قلبه ، ولكنها تظلُّ عنده صغائرَ ولا يعرفها إلا صغائر ؛ وهذا هو تجبُّرُه على جبّار الحب

* * *

قال الراوى : ونظرتُ إليها ونظرتْ ، وعاتبتْ نفسٌ نفساً فى أعيُنهما ، وسألت السائلةُ وأجابت المجيبة ، ولكن ماذا قلت لها وماذا قالت ؟

(ملطيا) محمد عزت دروزة

ظهر حديثاً كتاب :

نقد كتاب حياة محمد

للأستاذ عبد الله القصيمى النجدى

ويباع بمكاتب القاهرة وثمنه ٢٠ مليما

لأحياء الآداب العربية والتراث القومى

وصحة دار الكتب المصرية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

يستطيع الذين درسوا الآداب التاريخية الغربية ، وقرأوا تواريخ الأمم الغربية فى تلك الموسوعات والآثار الجليلة التى تمتاز بطابعها العلمى الدقيق ، أن يقولوا بحق إن تاريخ الاسلام والأمم الاسلامية لم يكتب حتى عصرنا

إن الآداب العربية تزخر بالموسوعات والآثار التاريخية فى كل عصر ، وكل قطر ؛ ومنها بلا ريب آثار كثيرة تمتاز بدقتها ونفاستها ؛ ولكن هذه الآثار تقف أولاً منذ عصر بعيد ، فلا تكاد تجد فى العربية موسوعة أو مؤلفاً تاريخياً جليلاً منذ القرن العاشر الهجرى ، وهى من جهة أخرى لا يمكن أن تعتبر أكثر من مادة لتغذية المؤرخ الحديث بما يحتاج إليه من التفاصيل والوثائق ؛ ومن الأنصاف أن نقول إن هذه المادة تمتاز بغزارتها فى عصور كثيرة ، ولكن من الأسف أن أغلبها ما زال يحتجب عن أعيننا فى أروقة المكاتب والمجموعات الخاصة ، فلا يصل إليها الباحث إلا بعد الجهد المضنى

وهذه مسألة تستحق الاهتمام من كل أولئك الذين يتصلون بالمباحث الاسلامية والتاريخية ، وأولئك الذين يشرفون على توجيه الثقافة القومية ، وفى مقدمتهم وزارة المعارف العمومية والجامعة المصرية . فالى الآن لم يكتب تاريخ مصر الاسلامية ، ولا مصر الحديثة بما يجب من دقة وإفاضة ، وإلى الآن لم تعرف مصادر التاريخ المصرى معرفة حسنة حتى من كثير من أولئك الذين يعنون بكتابته أو بتدريسه ؛ وإنه لما يبعث إلى الدهشة كما يبعث إلى الأسف أن نجد الكتب الدراسية التى يعتمد عليها الشباب فى دراسة التاريخ المصرى أو الاسلامى بوجه عام ، خلاصة مشوهة اشتق معظمها من المؤلفات الأجنبية ، وهى لذلك تفيض بالأخطاء والمثالب ، وينقصها روح الانصاف

والتمحيص ؛ هـذا بينما تلقى الكتب التى تعنى بتواريخ الأمم الأجنبية عناية أوفر لأنها تعتمد فى مادتها على المصادر القومية المنظمة ، ويجد فيها الشباب من التبسط والتمحيص مالا يجده فى كتب التاريخ المصرى أو الاسلامى

إن دار الكتب المصرية تزخر بمئات وألوف من مصادر التاريخ الاسلامى وتاريخ مصر الاسلامية بنوع خاص ، وبين هذه المصادر موسوعات جليلة فى مختلف العصور ، ومنها ما كتبته أقلام معاصرة قديرة ؛ وفيها من المواد والتفاصيل والوثائق ما يغتبط له الباحث ويحقق غايته . ولكن كم من هذه المصادر الجليلة أتيح له أن يرى الضياء حتى يومنا ؟ ومع ذلك فان هذه الآثار التى أخرجت حتى اليوم لم تلفت أنظار الباحثين والقراء لأنها لم تنل حقها من التعريف أولاً ، وثانياً لأن معظمها ما زال فريسة الناشرين المتجرين الجهلة ، يخرجونه فى أثواب عتيقة منفرة يقبل عليها الباحث مرغماً ويلقى فى مراجعتها من المشقة ما يلقاه فى مراجعة المخطوطات القديمة ذاتها

هذا وما زالت المراجع والموسوعات القديمة التى وضعت بين أيدى الباحثين والكتاب مستقى خصباً لنقل النصوص والروايات كما كتبت منذ مئات السنين ؛ وما زال معظم المؤلفات التاريخية المعاصرة يقوم على هذا النقل المجرد ؛ ومثل هذه المؤلفات لا قيمة له من الوجهة العلمية ، لأن عصر النقل المجرد انتهى منذ بعيد ، وأصبح التاريخ فى عصرنا علماً جليلاً يقوم على الباحث والمقارنات العلمية والنقدية والاستنباط المسند ، وأصبح وثيق الصلة بكثير من العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؛ فمن المؤلم أن يرغم الشباب فى هذا العصر الذى يعتبر فيه التاريخ مرآة الحضارة ودعامة للعاطفة القومية ، على أن يقرأ التاريخ الاسلامى والتاريخ القومى فى هذه الكتب الممسوخة التى استخرجت دون بحث أو تمحيص من الروايات القديمة ، ولا فضل لمصنفيها — إن كان ثمة فضل — إلا فى الاختصار والتبويب والطبع الأنيق

* * *

وقد آن أن نتحرر من هـــذا الجمود الذى يشل ثقافتنا التاريخية ، ويحجب عنا تراث الماضى الزاخر ، وأن نستخرج من هذا التراث نفائسه ، ونقدمها لجيل العصر فى أثواب العصر وأساليبه . وأول ما يجب لتحقيق هـذه الغاية فى رأينا هو أن يبذل جهد صادق للتعريف بهذا التراث وقيمته وأمكنة وجوده . وهـذه مهمة تستطيع دار الكتب المصرية أن تؤدى فيها أعظم دور . ولقد عكفت منذ أعوام على دراسة هذا الجانب من تراثنا القومى ، فكتبت عدة دراسات وبحاث عن أقطاب الرواية المصرية مثل ابن عبد الحكم والكندى وابن زولاق والمسبحى والقضاعى والنويرى والعمرى والقلقشندى والمقريزى وابن تغرى بردى والسخاوى وابن اياس ، استعرضت فيها تراجمهم وجهودهم وآثارهم المنشورة والمخطوطة استعراضا وافياً ، وعنيت فيها عناية خاصة بالتعريف بعشرات بل مئات من الآثار والمصادر الجليلة التى تتعلق بتاريخ مصر الاسلامية ، والتى ما زالت مخطوطة بعيدة عن التعريف والتداول تحجبها ظلمات النسيان فى أروقة دار الكتب . بيد أن مثل هذه المجهودات الفردية لا يمكن أن تحقق الغاية المنشودة . وعندنا أن دار الكتب المصرية يجب عليها أن تعنى بوضع فهرس خاص لمصادر التاريخ المصرى العربية المنشورة والمخطوطة بنوع خاص ، تتحرى فى وضعه أحدث الطرق العلمية وتصنف المصادر فيه حسب العصور ، وتوصف محتوياتها وصفاً علمياً دقيقاً ؛ ولا تقتصر فى ذلك على المصادر الموجودة ، بل تضمنه أيضاً ذكر المصادر والآثار المخطوطة المحفوظة فى مختلف المكاتب الأجنبية بالاعتماد على فهارس هـذه المكاتب أو بارسال مندوب أو أكثر للخارج لدراستها وتدوين أوصافها وتصوير ما يجب تصويره منها . ثم يوضع إلى جانب هذا الفهرس العربى ، فهرس آخر يتضمن جميع المصادر والآثار الأجنبية المتعلقة بمصادر التاريخ المصرى فى جميع العصور ، وفى جميع اللغات الحية ، ويصنف تصنيفاً علمياً دقيقاً ؛ وتبذل دار الكتب جهدها لاستكمال ما ينقصها من هذه المؤلفات ، وينشر الفهرسان ، ويصبح كل منهما مرجعاً نفيساً لمصادر التاريخ المصرى ووثائقه ؛ وبذلك تحظى آثارنا المحجوبة بشىء من التعريف ، ويسهل سبيل البحث على الباحثين ، ويفتتح عهد جديد لدراسة التاريخ المصرى وكتابته

ثم يجب إلى جانب ذلك أن تدرس جميع الوثائق المتعلقة بتاريخ مصر وأنظمتها الادارية والاجتماعية والاقتصادية مما تحتفظ به دار الكتب ذاتها ، أو الدفترخانة المصرية ، أو وزارة الأوقاف أو غيرها ؛ ومن المعروف أنه توجد لدينا طائفة كبيرة من هـذه الوثائق ، ولا سيما مما يتعلق بالعصر التركى ، وفيها كثير مما يلقى

الضياء على طبيعة الأنظمة الادارية والاجتماعية والثقافية فى مصر فى هذا العصر . ومعظم هذه الوثائق التى تحتفظ الدفترخانة المصرية بكثير منها محرر باللغة التركية ، ويقتضى ترجمته أو تلخيصه . ونذكر أن الأنظار اتجهت منذ أعوام إلى هذه الوثائق ، وعرفت أهميتها وقيمتها التاريخية ، وقيل لنا إنه سيعنى بترجمتها وتنسيقها ، ولا نعلم ماذا تم بعد ذلك فى شأنها . بيد أنه لا ريب أن هذه الوثائق المختلفة ، ومنها بوزارة الأوقاف حجج أوقاف قديمة ترجع إلى القرن التاسع الهجرى ؛ إذا نظمت ولخصت فى فهرس دقيق جامع ، تكون مرجعاً نفيساً لتاريخ مصر الادارى والاجتماعى والاقتصادى والقضائى فى هذه العصور

* * *

وتوجد ثمة فى هذا الميدان مهمة علمية أخرى تستطيع دار الكتب والجامعة المصرية والجامعة الأزهرية أن تضطلع بها ، هى نشر طائفة من الآثار والمصادر الاسلامية والمصرية الجليلة مما تغص به أروقة دار الكتب المصرية . ولقد أخرجت لنا مطبعة بولاق ثبتاً حافلاً من هذه الآثار الجامعة فى أواخر القرن التاسع عشر ، فكانت مأثرة علمية جليلة لولاها لبقيت المكتبة العربية عاطلة حتى يومنا من أمهات المصادر والمراجع الكبرى ؛ وقد أرادت دار الكتب أن تستمر فى الاضطلاع بهذه المهمة ، وما زالت تعمل لاخراج بعض الموسوعات والآثار الجليلة ؛ وقد أخرجت بعض هذه الآثار ، ولاسيما موسوعة «صبح الأعشى» للقلقشندى ، ولكن عملها فى ذلك بطىء جداً ، ينقصه الطابع العلمى قبل كل شىء ؛ ومن الواجب أن تنظم هذه المهمة تنظيماً علمياً ، وأن تشرف على أدائها هيئة فنية قديرة ، ومن الواجب أن تضاعف الجهود لاخراج هذه الآثار والموسوعات فى فترات معقولة ، إذ ما زلنا نتلقى أجزاءها فى فترات متباعدة ، وقد يستغرق اخراج الجزء الواحد عامين أو ثلاثة . ثم إن الجامعة المصرية والجامعة الأزهرية تستطيع كلتاهما أن تقوم فى هذا السبيل بمجهود قيم ؛ ولا نعلم أن إحدى الجامعتين قامت إلى اليوم باخراج شىء يذكر من الآثار الاسلامية المخطوطة ، هذا بينما نرى الجامعات والهيئات العلمية الأوربية والأمريكية تشرف باستمرار على إخراج كثير من هذه الآثار ؛ ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد أن كتاب « النجوم الزاهرة » لأبى المحاسن بن تغرى بردى الذى تقوم الآن باخراجه دار الكتب المصرية ، قد اشرفت على إخراجه منذ أكثر من عشرين عاماً جامعة كاليفورنيا الأمريكية ، وتولى نشره وتحقيقه المستشرق الأمريكى وليم بوبر ؛ وان الجزء الفاقد من تاريخ مصر لابن اياس الذى أخرجته مطبعة بولاق منذ أربعين عاماً ، تولى اخراجه الأستاذ باول كاله الألمانى باشراف جمعية المستشرقين الألمانية وهكذا . ومن واجب مصر ، باعتبارها زعيمة الثقافة العربية والاسلامية أن تأخذ بنصيبها من حركة أحياء الآثار الاسلامية على يد هيئاتها العلمية الكبرى ، وفى مقدمتها الجامعتان المصرية والأزهرية . ولا ريب أن اشراف الجامعتين الكبيرتين على هذه الحركة يسبغ عليها قسطاً من الطابع العلمى الذى ننشده لآثارنا وموسوعاتنا ؛ ذلك أن ما ينشر منها اليوم على أيدى الناشرين المتجرين يخرج فى صور يرثى لها من المسخ والتحريف ؛ وليس من المبالغة أن نطلب بهذه المناسبة إلى دار الكتب المصرية أن تسن من القواعد والقيود لاستنساخ المخطوطات ثم لنشرها ما يكفل اخراجها على أيدى ناشرين من الطراز الأول ، يقدرون قيمتها العلمية ويخرجونها فى أثواب محترمة ، ويعرضونها للبيع بأثمان لا تخرج عن حد الاعتدال

* * *

هذه خواطر واقتراحات نعتقد أنها تجول فى أذهان كثير ممن يعنون بالمباحث الاسلامية وحركة احياء الآداب العربية ، بل نعتقد أنها ليست بعيدة عن أذهان المشرفين على مصاير تعليمنا وثقافتنا . وإذا كنا نخص ثقافتنا التاريخية القومية واحياء تراثها ومراجعها بشىء من الاهتمام ، فذلك لأننا عكفنا على دراسة هذه الناحية من حركتنا العلمية والأدبية مدى أعوام طويلة ، ولمسنا فيها أوجه النقص والعمل بصورة واضحة ؛ وقد كنا وما زلنا نعتقد دائماً أن دار الكتب المصرية ، وهى أعظم مستودع لتراثنا المنسى ، هى أول وأولى هيئاتنا بالعمل لتحقيق هذه الغاية ، ذلك لأنها تضطلع بالفعل بناحية من هذه المهمة الجليلة ؛ وكل ما يطلب اليها هو أن تعمل لتنظيمها وتوسيع مداها على أسس علمية فنية تكفل اداءها بصورة مرضية ؛ ولو عنيت جامعتنا المصرية ، وجامعتنا الأزهرية بأن تأخذ كلتاهما بنصيبها من هذه الحركة لاكتملت لدينا أسباب النهضة ، ولاستطاعت مصر أن تضطلع برسالتها فى احياء الآداب العربية والاسلامية ، وواجبها فى احياء تراثها القومى ؟

محمد عبد الله عنان